فضل الستر

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الحَيِّي السِّتِيرِ ، يَغْفرُ الذَّنبَ الكَبِيرِ ، ويَسْتُرَ الفِعْلَ القَبِيحِ ، وأَشهدُ أن لا إِلهَ إِلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدهُ ورسولُهُ ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّمَ تَسليماً كَثيراً ، أمَّا بَعدُ :

أُوصِيكُمْ ونَفسِي بِتقوَى اللهِ تَعالى فهيَ وصِيَّةُ اللهِ للأَوَّلينَ والآخِرينَ ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ النساء: ١٣١.

عبادَ اللهِ : السِّتْرُ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالى الَّتِي امْتَنَّ بِهِ على الإِنْسانِ ، وفَضَّلَهُ بِهِ على الدَّوَابِّ ، فلا تَطِيبُ حَياةُ النَّاسِ ولا تَسعَدُ النُّفوسُ إلا بِهِ ، فَالسِّتْرُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ ، وعُمْلَةٌ ثَمِينَةٌ ، مَنْ فَقَدَهُ لَمْ يَتَلَذَّذْ بِنِعْمَةٍ ، ولَمْ يَهْنَأْ بِعَيْشٍ ، وصَارَ مَفْضُوحاً بَينَ النَّاسِ ، فَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِالعَبْدِ أَنْ كَسَاهُ ثَوبَ السِّترِ ، وحَجَبَ عُيُونَ النَّاسِ عَنْ رُؤْيَةِ مَعَايِبِهِ ومَعَاصِيهِ ، قَالَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ رحمهُ اللهُ : لَولَا سِتْرُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ؛ مَا جَالَسْنَا أَحَداً ، ولَا جَالَسَنَا أَحَدٌ . أ. هـ.

وقَدْ سَمَّى اللهُ تَعَالى نَفْسَهُ بِالسِّتِّيرِ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالسِّتْرِ ، قالَ ﷺ : " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ ، حَيِيٌّ سَتِيرٌ ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ " رواه أبو داود وصححه الألباني .

عبادَ اللهِ : حَكَى ابْنُ قُدَامَةَ رحمهُ اللهُ في كِتَابِ التَّوابِينَ: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَصَابَهُمْ القَحْطُ ، فَدَعَا مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ رَبَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ ، فَأَوْحَى اللهُ إِليهِ : كَيْفَ أَسْقِيكُمْ ، وفِيكُمْ عَبْدٌ يُبَارِزُنِي بِالمَعَاصِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ ، فَصَاحَ مُوسَى في قَوْمِهِ : يَا مَنْ يُبَارِزُ اللهَ بِالمَعَاصِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ ، أُخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، فَلَمَّا لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ ؛ عَلِمَ العَاصِي أَنَّهُ المَقْصُودُ بِالخِطَابِ ، وخَشِيَ على نَفْسِهِ الفَضِيحَةَ ، فَانْكَسَرَتْ نَفْسُهُ ودَمَعَتْ عَيْنُهُ ، وأَدْخَلَ رَأْسَهُ في ثِيَابِهِ نَادِماً على فِعَالِهِ ، وقَالَ: إِلَهِي وسَيِّدِي ؛ عَصَيْتُكَ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ ، وأَمْهَلْتَنِي ، وقَدْ

أَتَيْتُكَ طَائِعاً فَاقْبَلْنِي ، وأَخَذَ يَبْتَهِلُ إِلَى خَالِقِهِ ، فَلَمْ يُكْمِلْ كَلَامَهُ ؛ حَتَّى أُمْطِرُوا ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ : إِلَهِي سَقَيْتَنَا ومَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا أَحَدٌ ، فَقَالَ اللهُ : يَا مُوسَى ، سَقَيْتُكُمْ بِالَّذِي بِهِ مَنَعْتُكُمْ ، فَقَالَ: أَرِنِي هَذَا العَبْدَ الطَّائِعَ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالى : يَا مُوسَى، إِنِّي لَمْ أَفْضَحْهُ وهُوَ يَعْصِينِي ، أَأَفْضَحُهُ وهُوَ يُطِيعُنِي . أ. هـ.

عِبادَ اللهِ : ومِنْ صُورِ السِّتْرِ؛ سِتْرُ الإِنْسَانِ على نَفْسِهِ ، بِإِخْفَاءِ عُيُوبِهِ وزَلَّاتِهِ ، وعَدَمِ كَشْفِهَا لِلنَّاسِ، مَعْ مَا يُطْلَبُ مِنَ النَّدمِ والتَّوبةِ والاسْتِغفَارِ ، قَالَ بَعضُ السَّلفِ: اعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْجِبُوا بِكَ ، فَإِنَّما أُعْجِبُوا بِجَمِيْلِ سِتْرِ اللهِ عَلَيْكَ. أ. هـ.

وسِتْرُ المُسْلِمِ على نَفْسِهِ مَظِنَّةُ مَغْفِرَةِ اللهِ لَهُ يومَ القِيامَةِ ، قَالَ ﷺ " إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ " رواه البخاري.

أَمَّا التَّحَدُّثَ بِالمَعْصِيةِ سَواءً كَانتْ مِنَ الحَاضِرِ أو المَاضِي القَدِيمِ ، فَتَجِدِ البَعْضَ يَتَفَاخَرُ بِأَفعَالِهِ المشِينَةِ مِنْ ارْتِكَابِهِ الفَوَاحِشَ ، أو بِمُعَاقَرَتِهِ لِلْمُسْكِراتِ والمُخَدِّرَاتِ ، أو بِظُلْمِهِ لِلعِبادِ ، فَهَذَا قَدْ هَتَكَ سِتْرَ اللهِ عَلَيهِ ، وجَاهَرَ بِمَعْصِيتِهِ ، وقَدْ قَالَ ﷺ " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ ؛ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ " رواه البخاري .

عِبادَ اللهِ : وإِذَا كَانَ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُجَاهِرُ بِالمعَاصِي ، بِإِخْبَارِ النَّاسِ بِأَفْعَالِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُجَاهِرُ بِارْتِكَابِ المَعْصِيةِ أَمَامَ النَّاسِ فَالذَّنْبُ أَشَدُّ وأَعْظَمُ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رحمهُ الله : ومِنْ أَضْرَارِ الذُّنُوبِ ؛ أَنْ يَنْسَلِخَ مِنَ القَلْبِ اسْتِقْبَاحُهَا، فَتَصِيرَ لَهُ عَادَةً ، فَلا يَسْتَقْبِحَ مِنْ نَفْسِهِ رُؤْيَةَ النَّاسِ لَهُ ، ولَا كَلَامَهُمْ فِيهِ ؛ حَتَّى يَفْتَخِرَ بِالمَعْصِيَةِ ، ويُحَدِّثَ بِهَا ... وهَذَا الضَّربُ مِنَ النَّاسِ لَا يُعافَوْنَ ، ويُسدُّ عَلَيْهِمْ طَرِيقُ التَّوبَةِ ، وتُغْلَقُ عَنْهُمْ أَبْوَابُهَا في الغَالِبِ . أ. هـ.

عبادَ الله : ومِنْ صُوَرِ السِّتْرِ ؛ سِتْرُ الإِنْسَانِ على غَيْرِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ ، إِذَا رَأَى هَفْوَةً أَوْ زَلَّةً أَوْ مَعْصِيَةً ؛ أَخْفَاهَا ولَمْ يُظْهِرْهَا لِلنَّاسِ ، قَالَ ﷺ :" مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

وَنَبِيُّنَا ﷺ إِذَا رَأَى أَوْ سَمِعَ بِمُنْكَرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ؛ عَرَّضَ ولَمْ يُصَرِّحْ ، وسَتَرَ ولَمْ يَفْضَحْ ، فَقَالَ : "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا " ، وقَالَ لهزَّالِ بنِ يَزِيدٍ ﷺ لَمّا أَتَى بِمَاعِزٍ ﷺ لِيَعْتَرِفَ بِالزِّنَى أَمَامَهُ ، " لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوبِكَ لَكَانَ خَيْراً لَكَ "رواه أحمد بسند صحيح .

وأَوْجَبَ حَدَّ القَّذْفِ على مَنْ رَمَى مُسْلِماً بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ شَرْعِيَّةٍ ، ونَهَانَا عَنْ هَتْكِ الأَسْتَارِ ، قَالَ ﷺ :" يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ" ، قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على إِحسانِهِ ، والشُّكرُ لهُ على تَوفِيقِهِ وامتِنانِهِ ، وأَشْهدُ أنْ لَا إِلهَ إِلا اللهُ وحْدهُ لا شَريكَ لهُ ، وأَشْهدُ أنَّ مُحمداً عبدهُ ورَسولُهُ ، صَلّى اللهُ عَليهِ وعَلى آلهِ وصَحبهِ ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً ، أمَّا بعدُ :

عِبادَ اللهِ : السِّتْرُ مِنْ صِفَاتِ الأَنْبِياءِ والْمُرْسَلِينَ ، ومِنْ أَخْلاقِ الْمُؤْمِنينَ الْمُحَسِنينَ ، والسِّتْرُ طَاعَةٌ وقُربَانٌ ، والْمُؤمِنُ يَسْتُرُ ويَنْصَحُ ، والفَاجِرُ يَهْتِكُ ويَفْضَحُ ، وإِنَّ شُيُوعَ مَبْدَئِ السِّتْرِ في الْمُجْتَمَعِ ، سَبَبٌ لِانْتِشَارِ حُسْنِ الظَّنِّ بَينَ النَّاسِ ، وشُيوعَ المَحَبَّةِ والأُلْفَةِ بَيْنَهُمْ ، وإِعَانَةَ العَاصِي على أَنْ يَسْتَدْرِكَ ويَتُوبَ إلى رَبِّهِ .

وإِنَّ مِنْ مَسَاوِئِ هَتْكِ الأَسْتَارِ ، سَواءً بِمُجَاهَرةِ العَبْدِ بِذَنْبِهِ ، أَوْ بِنَشْرِ عُيُوبِ الآخَرِينَ ؛ أَنَّها سَبَبٌ لِلتَّنَافُرِ وظُهُورِ العَدَاوةِ والبَغْضَاءِ ، وسَبَبٌ لِفَسَادِ القُلُوبِ ، قَالَ ﷺ :" إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ " رواه أبو داود وصححه الألباني.

كَمَا أَنَّ تَتَبُّعَ المَعَايِبِ والمَثَالِبِ ونَشْرِهَا ، سَواءٌ كَانَ ذَلكَ في المَجَالِسَ أو في وَسَائِلِ التَّواصُلِ ، يُجَرِئُ ضِعَافَ النُّفُوسِ على مُعَاقَرَتِهَا وشُيُوعِهِا في العَلانِيَةِ ، وقِيلَ : مَنْ سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَفْشَاهَا ، فهُوَ فِيْهَا كَالَّذِي أَبْدَاهَا أ.هـ.

ومَنْ تَسَبَّبَ في ذَلِكَ فهُوَ مُتَوَعَّدٌ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ في الدُّنْيَا والآخِرةِ ، قَالَ تَعَالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور:١٩.

قَالَ بَعضُ السَّلفِ :اجتَهِدْ أَنْ تَسْتُرَ العُصَاةَ، فَإِنَّ ظُهُورَ مَعَاصِيهِمْ عَيْبٌ في أَهْلِ الإِسْلامِ ، وأَوْلَى الأُمُورِ سَتْرُ العُيُوبِ . أ. هـ.

عِبادَ اللهِ : إِنَّ سَتْرَ الأَخْطَاءِ والخَطَايَا لَا يَعْنِي تَهْوِينَ أَمْرِهَا، ولَا الدَّعْوةَ إلى اقْتِرَافِها ، بَلْ هُوَ فَتْحٌ لِبَابِ التَّوبَةِ، وتَطْهِيرٌ لِلقَلْبِ مِنَ الإِصْرَارِ على المَعْاصِي ، كَما أَنَّ السِّتْرَ لا يَقْتَضِي تَرْكَ النَّصِيحَةِ على مُرْتَكِبِ

المَعْصِيَةِ إِنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ ، وأَنَّ مَنْ اشْتَهَرَ بِالفَسَادِ والشُّرُورِ وعُرِفَ بِالأَذَى والفُجُورِ، وكَانَ ضَرَرُهُ مُتَعَدِّياً ، جَازَ رَفْعُ أَمْرِهِ لِوُلَاةِ الأَمْرِ ؛ حَتَّى يُحْسَمَ الدَّاءَ ويُصَانُ المُجْتَمعَ .

ولِيَعْلَمِ المُؤْمِنَ أَنَّ اللهَ يَسْتُرُ عِبَادَهُ لِكَمَالِ غِنَاهُ وحَيَاءُهُ ، ويُوَفِّقَ مَنْ شَاءَ لِلتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ ، وأَلَّا يَغْتَرَ بِسِتْرِ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ هُنَاكَ يوماً تُهْتَكُ فِيهِ الأَسْتَارُ ، ويُحَاسَبُ فِيهِ العِبادُ على مَا عَمِلُوا ، فَفَرِيقٌ في الجَنَّةِ وفَرِيقٌ في السَّعِيرِ .

اللهم لا تفضحنا بين خلقك، واسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض، إنك على كلِّ شيءٍ قدير.

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين .

اللهم احفظ شبابنا وفتياتنا ، وردهم إليك ردا جميلا .

اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده لما تحبه وترضاه ، اللهم أعز بهم دينك وأعلي بهم كلمتك

اللهم احفظ رجال أمننا ووفقهم لكل خير .

اللهم فرج هم المهمومين ، ونفس كرب المكروبين ، واقض الدين عن المدينيين ، واشف مرضانا ومرضى المسلمين ، وارحم اللهم موتانا وموتى المسلمين يا ذا الجلال والإكرام .

اَللَّهُمَّ كن لِإِخْوَانَنَا فِي فِلَسْطِينَ ، اللهم فرج همهم، ونفس كربهم ، واكشف ضرهم ، وادر دائرة السوء على عدوك وعدوهم ، يا قوي يا عزيز

عبادَ الله: اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.